مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الدستور

التاريخ: ١٩٩٧/١١/١٩

قصة السادات

السادات قبل الثورة.. الإرهابى الغامض

■ أعجب بحسن البنا والبنا عرفه بعزيز المصرى وخصص له ١٠ جنيهات شهريا بعد اعتقاله

■ تقارير رسمية تؤكد: الحرس الحديدى أخرج السادات من السجن ليشارك فى محاولتين لاغتيال النحاس ثم يعود إلى السجن

■ محامى قتلة السادات أمام المحكمة: السادات كان إرهابيا مأجورا يتقاضى على رأس القتيل من أعداء الملك ألف جنيه.. واسألوا زميله حسين توفيق قاتل أمين عثمان

■ هيكل: محاكمة السادات فى قضية أمين عثمان كانت «هزلية» والادعاء قام فيها بدور الدفاع والسادات كافأ الادعاء وكبير القضاة عندما أصبح رئيسا

■ ادعى أنه أسس أول تنظيم سرى فى الجيش برفقة خمسة من زملائه

■ اعترف بدور عبد الناصر فى الجيش ثم سحب اعترافه عندما «تمريس»

تكون مخطئا جدا لو قررت أن تتعرف على صورة السادات قبل الثورة عن طريق السادات نفسه، أعنى من خلال قصة حياته (البحث عن الذات) التى كتبها بنفسه، والتى سيكون عليك وأنت تقرؤها أن تتعلم ألا تصدق السادات كثيرا، قد تبدو هذه بداية متحاملة على السادات، وربما هى كذلك بالفعل، لكنها الحقيقة فمنذ اول لحظة نقرر فيها رصد بدء النشاط السياسى للسادات سنجده في (البحث عن الذات) يروى أنه منذ تخرجه فى الكلية الحربية وتعيينه فى منقباد بدأ فى التفكير فى عمل تنظيم يهدف إلى ثورة عسكرية وبدأ الاجتماع بزملائه الضباط فعلا، وزاد فى إشعال حماسه الوطنى زيارة الفريق عزيز المصرى لهم والتى جعلته يشعر أنه أكثر نضجا من بقية زملائه الذين كان ينقصهم الوعى السياسى، بل إنه يظهر عبد الناصر فى صورة الشخص المنطوى الذى يتحاشاه الناس بسبب الحواجز التى يقيمها حوله، وبسبب «نزوعه إلى الشك والمرارة وأعصابه المشدودة باستمرار» والغريب - كما يكشف هيكل فى خريف الغضب - أن السادات نفسه كتب فى كتابه «صفحات مجهولة» - الذى نشر سنة ٥٦ - مؤكدا أن عبد الناصر هو الذى التأمت حوله مجموعة الضباط الأحرار وأنه «كان يقول لنا إن الإنجليز أصل بلائنا كله.. هذه الكلمة قالها جمال وكأنه يحدد لنا رسالة كبرى لا ينبغى أن يتخلى عنها أحد» شايف التناقض!

و يستمر السادات فى مذكراته فى الحديث عن اتصالاته بالضباط التى زادت على نطاق واسع بعد نقله إلى القاهرة وإقامته لأول تنظيم سرى من الضباط سنة ٣٩ كان عبد المنعم عبد الرءوف الرجل الثانى فيه ثم عبد اللطيف البغدادى وخالد محيى الدين وغيرهم، بينما يرى هيكل أن السادات وقتها لم يعرف عنه شئ غير عادى من الناحية السياسية ولا يذكر عنه سوى براعته فى التمثيل والغناء وتقليد رؤسائه وهو ما كان يمنحه بعض الشعبية وأنه عند نقله إلى سلاح الإشارة فى المعادى بالقاهرة تعرف على الضابط حسن عزت الذى كان منضما بالفعل إلى مجموعة سرية من ضباط الطيران وهو الذى اقترح على هذه المجموعة ضم السادات - وليس العكس - فى ذلك الوقت ونتيجة للتربيطات السياسية بين على ماهر والقصر والإخوان تم السماح للشيخ حسن البنا - رحمه الله - بالدخول إلى الجيش لإلقاء محاضرات دينية، ويروى السادات أنه سمح للبنا بإلقاء محاضرة دينية بدلا منه ويثنى كثيرا على البنا ويتحدث عنه بإعجاب شديد ويروى تفاصيل لقاءاته المتعددة به والتى ختمت بلقاء صريح كشف السادات فيه للبنا عن اعداده لثورة مسلحة وأن تنظيمه لن يخضع لأى هيئة وأنه يكفيه أن يتعاون مع الإخوان فقط، وبوغت البنا - حسب وصف السادات - ووافق لكن الإخوان بعدها جندوا عبد المنعم عبد الرءوف «الرجل الثانى بعدى فى تنظيم الضباط الأحرار (!)، المهم أن البنا رتب لقاء بعدها للسادات مع عزيز المصرى، لتتوثق علاقة

السادات به، ويروى السادات قصة طريفة عن تدبيره خطة لأول ثورة كان المفروض أن تقوم من مرسى مطروح وتتجمع قواتها عند فندق مينا هاوس لتدخل القاهرة لكنه وصل إلى مينا هاوس وحده ليجلس فى انتظار الآخرين دون أن يصل أحد وهو يقول «ربما كان هذا من فضل الله فلو فشلت هذه الثورة لما قامت ثورة يوليو» . ولا يذكر السادات اى شهود ولا حتى مجرد اسم واحد يؤكد روايته هذه التى أراد بها تصوير نفسه كأنه أول من جاءته فكرة الثورة.

المهم حدث الهروب الشهير لعزيز المصرى إلى السودان وتم التحقيق مع السادات ولم يثبت عليه تورطه فى الهروب، بعدها يروى السادات أنه قال لإخوانه فى تنظيم الضباط الأحرار إنه لابد من إرسال رسالة إلى روميل للتعاون معه ضد الإنجليز لكن الطائرة التى تم إرسال الرسالة عبرها انفجرت بقائدها، وبعدها بدأت علاقة السادات عن طريق حسن عزت بالجاسوسين الألمانيين والتى انتهت بالقبض على الجميع السادات وحسن والألمانيين، ويروى السادات كيف تفنن فى إطلاق الأكاذيب المقنعة لإفشال القضية وهو ما حدث بالفعل، لكن اعتراف إبلر أدى لاعتقال السادات فى سجن الأجانب ثم فى معتقل ماقوسه بالمنيا. ويلاحظ هيكل هنا أن السادات روى قصته مع إبلر وساندى فى كتابه «صفحات مجهولة» بشكل أقرب إلى الحقيقة ثم رواها بشكل أخر فى «البحث عن الذات» وأمر بسحب كتابه الأول من الأسواق، بالمناسبة نادية الجندى روتها بشكل ثالث فى فيلمها (حكمت فهمى) والذى تحول الجميع فيه إلى ظلال على هامش بسلامتها حكمت فهمى

ويلفت هيكل انتباهنا إلى العلاقة التى نشأت بينما السادات فى المعتقل بين الطبيب يوسف رشاد والملك فاروق والتى أدت إلى تشكيل تنظيم الحرس الحديدى - أخطر جمعية سرية قبل الثورة لحماية الملك والتخلص من خصومه -، ويؤكد هيكل أن يوسف رشاد كان قد تعرف على السادات فى مرسى مطروح عام ٤٢ قبل دخوله المعتقل - تعترف جيهان السادات بذلك فى كتابها «سيدة من مصر» وتؤكده - وأن يوسف استطاع جذب حسين عزت صديق السادات القديم للعمل معه، لينبهه حسن إلى أن السادات المعتقل قد يكون عنصرا نافعا، ويروى هيكل أن زائرا غامضا ذهب إلى السادات فى المعتقل وعلى إثر هذه الزيارة دخل السادات فى الحرس الحديدى، وبعد أيام من هذا اللقاء، تم نقل السادات بطريقة غامضة من معتقل المنيا إلى معتقل الزيتون الذى لم يكن معتقلا بمعنى الكلمة وكان يحفل بأعوان الملك الذين اعتقلتهم حكومة الوفد، وقد كانت أحوال المعتقل أخر خلطبيطة حتى أن السادات هرب منه مرة هو وصديق له ليكتب تظلما فى قصر الملك ثم عاد للمعتقل مرة أخرى - فينك يا معتقلات زمان؟! -، المهم أن السادات هرب بعدها هروبا نهائيا بمساعدة حسن عزت وفى ظروف غامضة جدا - الملاحظ هنا أن موسى صبرى

عاشق السادات الأول يروى فى كتابه «السادات الحقيقة والأسطورة» أنه هرب مع السادات فى معتقل الزيتون فى المرة الأولى، لكن السادات لايذكر اسمه إطلاقا فى قصته - ما تعرفش ليه؟ - على أية حال لن نطيل هنا فى تفاصيل علاقة السادات بالحرس الحديدى ويوسف رشاد والتى حققها باقتدار الكاتب الصحفى رشاد كامل فى كتابه الرائع «السادات أسطورة لغز» بل سننتقل إلى تفاصيل اشتراك السادات فى قضية مقتل أمين عثمان والتى كانت من أبرز الأحداث التى شكلت شخصية السادات وأثارت حوله علامات استفهام إضافية.

نبدأ أولا بقراءة تفاصيل القضية طبقا لرواية السادات فى «البحث عن الذات» وكما قلنا سابقا، إمسك نفسك شوية وأنت تصدق السادات. شوف يا سيدى. فى سبتمبر ٤٥ انتهت الحرب العالمية الثانية وسقطت الأحكام العرفية على إثر ذلك وأصبح من حق السادات الهارب أن يعود إلى الأضواء، بعد سقوط الاعتقال عنه وبعد ٣ سنوات من التشرد والحرمان كما وصفها السادات فى روايته لقصة حياته، يقول السادات «. بمجرد أن عاد إلى كيانى كمواطن حر طليق كان أول عمل قمت به هو تكوين الجمعية السرية، فكيف تتحرر الذات بدون أن يتحرر الوطن»

المهم اتصل السادات بعد خروجه بأيام قليلة بشقيق أحد زملائه فى التنظيم والذى عرفه بدوره على شاب اسمه حسين توفيق كان يمارس قتل الجنود الانجليز فى المعادى قبل انضمامه لتنظيم السادات، ويقول السادات إنه كان يعتقد أن الطريق إلى تحرير مصر لا يكون بقتل حفنة من الجنود الإنجليز، ولكن المهم وقتها فى رأيه كان التخلص ممن كانوا يساندون الإنجليز فى ذلك الوقت، وكان على رأس هؤلاء فى نظره مصطفى النحاس رئيس حزب الوفد الذى سقط فى نظر السادات بعد حادث ٤ فبراير ٤٢ ليتحول من بطل أسطورى إلى هدف للقتل، كان السادات قد درب أعضاء جمعيته أو تنظيمه على استعمال القنابل اليدوية، وتم اختيار حسين توفيق ليلقى بقنبلة على سيارة النحاس فى جاردن سيتى. ونجا النحاس بأعجوبة عندما حاول سائقه تفادى «ترماى» كاد يصطدم بالسيارة لتصيب شظايا القنبلة عربة أتوبيس لفتيات يعملن فى القوات المسلحة البريطانية، كان السادات مع أفراد «الجمعية السرية» يراقبون فشل العملية، انسحبوا فى هدوء وركبوا الترام إلى ميدان الإسماعيلية - التحرير دلوقتى - وبالتحديد إلى مقهى أستورا المكان المفضل لاجتماعاتهم، وفى تلك الجلسة قرروا التخلص من أمين عثمان الذى تولى وزارة المالية طوال حكم النحاس بعد أن فرضه الإنجليز فى ٤ فبراير، والذى كان مساندا لبقاء الإنجليز فى مصر بشكل لم يسبق له مثيل خاصة من خلال نشاط حزبه (رابطة النهضة)

والذى التحق به السادات لفترة كما قال « لم يكن فى مصر حزب سياسى واحد لم أدخله من باب المعرفة ربما أو من باب البحث عن منفذ نخلص به مما كنا فيه». وقد اعتبر السادات أن تصريح امين عثمان الذى أعلن فيه أن مصر وانجلترا تزوجتا زواجا كاثوليكيا، هو بمثابة حكم بالإعدام عليه

وبالفعل تم تنفيذ الحكم فى يوم السبت ٦ يناير ٤٦ بعد عودة أمين عثمان من انجلترا بيومين كان أمين قد زار المندوب السامى البريطانى اللورد كيلرن فى ظهر يوم السبت وعندما ذهب لمقر الرابطة فى المساء، كان حسين توفيق ـ الجاهز دائما للتنفيذ ـ فى انتظاره عند باب العمارة حسب الخطة، ليطلق عليه الرصاص بعد أن ناداه «يا أمين باشا.. يا أمين باشا» ـ شوف الاحترام ـ ولم يكن هروب حسين سهلا، فقد اضطر لتفجير قنبلة يدوية ليتمكن من الإفلات من مطاردية، كان السادات وقتها يجلس فى مقهى قريب، وبعد سماعه لانفجار القنبلة قام ليتأكد من عدم وجود ضحايا بين الأهالى، ثم بعدها ذهب إلى بيته فى كوبرى القبة، وعندما تأكد خبر الاغتيال فى اليوم التالى أحس السادات أنه تحقق له ما أراد بعدها بأيام قبض البوليس على حسين توفيق وبعد أيام من التحقيقات المكثفة اعترف بكل شئ فى يوم ١٠ يناير ٤٦، وبعدها بليلتين تم القبض على أنور السادات وترحيله إلى سجن الأجانب حيث سبقه زملاؤه وعلى رأسهم حسين توفيق الذى علم السادات أن صداقة نشأت بينه وبين وكيل النيابة جعلتهما يسهران ويتعشيان معا كل ليلة، اتصل السادات بزملائه عن طريق السجانين وأوصاهم بإنكار اعترافاتهم السابقة وعندما أحس وكيل النيابة باتصالات السادات نقله إلى زنزانة بعيدة، فى التحقيقات قرر السادات اتباع أسلوب لإفساد القضية وهو ادعاء تعذيبه وطلب إثبات تعرضه للتعذيب فى المحاضر، وتم تأجيل التحقيق معه لمدة أسبوع كان وكيل النيابة يفكر فى طريقة لإدانته بينما كان السادات يفكر فى كيفية إفساد القضية، وقرر السادات الاتصال بالشخص الوحيد الذى صمد ولم ينهر فى التحقيقات وهو ابن خالة حسين توفيق واسمه محمد كامل كان وقتها شابا صغيرا لا يعرف أن القدر سيجعله وزيرا لخارجية مصر مع السادات وأنه سيختلف مع سياسة السادات الانهزامية ويترك السلطة، المهم استجاب محمد كامل للسادات، وصعد السادات اتهاماته لضباط السجن بتعذيبه وأرسل برقية إلى النائب العام، كان القانون وقتها فى مصر له احترامه، وكان من حق السجين السياسى أن يرسل برقيات إلى النائب العام يتم إثباتها فى محاضر رسمية، عند مواجهة السادات بزملائه تمسك بعضهم باعترافه بينما تراجع أحدهم ـ اسمه عمر أبو على ـ عن أقواله وكان ذلك يعنى بداية انهيار القضية خاصة مع إثبات السادات لتعرضه للتعذيب واستمرار برقياته المطالبة بتغيير وكيل النيابة، بعدها جرت مواجهة بين السادات وحسين توفيق استطاع السادات بقصصه

المخترعة وتلونه المحير أن يهز صلابة حسين توفيق، وعندها أحس وكيل النيابة بالخطر فأصدر قرارا بنقل السادات إلى سجن قره ميدان وبالتحديد فى الزنزانة ٥٤

واستطيع بثقة أن أؤكد أن هذه الزنزانة كان لها أكبر الأثر فى تشكيل شخصية السادات أو تشويهها حسب رأيك فى السادات .. وهو ذاته يعترف بأثر هذه الزنزانة فى «تحرير ذاته» بعد أن عاش معاناة «لم يستطع الكثيرون تحملها كما تحملتها أنا بفضل نشأتى بالقرية وخدمتى بالقوات المسلحة» فى هذه الفترة اتصل الشيخ حسن البنا بطلعت شقيق السادات وأخبره أن جماعة الإخوان خصصت ١٠ جنيهات شهريا - كانت وقتها حاجة لها قيمة - لمساعدة أسرة السادات، ويروى السادات هذا الموقف بشئ من الامتنان، والعتاب لزملائه الضباط الذين أوقفوا معونتهم له منذ أن خرج من معتقل ماقوسة فى قضية «إيلر» الشهيرة - بتاعة حكمت فهمى

ذهبت القضية إلى قاضى الإحالة ورفعت عنها السرية ليتداولها المحامون الذين وجدوا أن السادات قد قوض أركان القضية بإنكاره وتكذيبه للآخرين، ولام المحامون موكليهم لأنهم لم يفعلوا مثل السادات، وقال لهم - حسب رواية السادات - «ليتكم استمعتم لنصائح السادات، إنه رجل، أما أنتم فمازلتم صبية صغارا» - كان عمر السادات وقتها ٢٧ عاما وكان المتهم رقم ٧ فى القضية، واستمر نظر القضية فترة طويلة بسبب طلبات المحامين للتأجيل، قضى السادات هذه الفترة فى الزنزانة ٥٤ يقرأ فى نهم ويتعرف على ذاته واستطاع التخلص من أزمة عصبية لازمته زمنا طويلا، وساعده فى التخلص منها مقال قرأه فى مجلة «ريدرزدايجست» الأمريكية، والسادات عندما يروى ذكريات الزنزانة يعطيك انطباعا بأنه الإمام أحمد بن حنبل او ابن تيمية فى محنة سجنهما، يقول السادات «فى الزنزانة ٥٤ تجردت من ذاتى فنعمت بصداقة الله وعمر قلبى بحبه وأصبح ظله سبحانه وتعالى يحتوينى . لقد اكتشفت ذاتى عن طريق الحب. وعندما أنكرت هذه الذات وأذبتها فى ذات الكون.. أصبح الحب الشمولى لمصر - للكون - للخالق عز وجل - هو المنطلق الذى مارست منه ومازلت أمارس واجبى فى الحياة.. حتى الآن وأنا رئيس جمهورية مصر.. هذا ما يجعلنى أدعو دائما إلى الحب.. على عكس الحقد الذى ساد حياتنا فى الثمانية عشر عاما الأولى قبل أن أتولى الرئاسة فهدم كل ما فى طريقه هدما مازلنا نعانى من آثاره إلى اليوم» هكذا كتب السادات وهو رئيس للجمهورية وقد دفعت مصر ومازالت تدفع ثمن «حبه» حتى الآن المهم استمرت المحاكمة حتى أغسطس ١٩٤٨، وسمحت الحكومة - التى هدأت أعصابها كما قال السادات - له وزملائه بالخروج بعض الوقت برفقة حراس بعدها هرب حسين عثمان وصدر الحكم عليه بالسجن ١٠ سنوات غيابيا وحصل السادات على البراءة هذه تفاصيل القصة حسب رواية السادات فماذا عن هيكل؟

يرى هيكل أن اتصال السادات بحسين توفيق كان عن طريق «أحدهم» - فى إشارة ضمنية إلى يوسف رشاد صديق الملك والذى سهل هروب السادات من المعتقل وحسب رواية هيكل فإن اللقاء لم يكن كما ذكر السادات بين زعيم للتنظيم هو السادات وراغب فى الانضمام هو حسين توفيق، بل كان العكس هو الصحيح، يكشف هيكل أيضا أن التقارير التى سجلت نشاط الحرس الحديدى والتى وجد بعضها بعد الثورة تكشف أن السادات تم إخراجه من السجن تسللا فى أبريل ٤٨ ليشترك فى محاولة لاغتيال النحاس ثم يعود إلى السجن تسللا، واشترك معه فى المحاولة الضابطان عبد الرءوف نور الدين وحسن فهمى فى سيارة مقدمة من إدارة إطفاء الحرائق بالقصر الملكى، وفشلت المحاولة لتتكرر مرة أخرى بوضع سيارة متفجرة تحت منزل النحاس وهى محاولة اشترك فيها السادات أيضا مع مصطفى كمال صدقى هذه المرة.

ويصف هيكل محاكمة السادات فى قضية أمين عثمان بأنها كانت أشبه ما تكون بأوبريت هزلية، «والغريب فيها أن ممثل الادعاء قام فى الواقع بالدور الأساسى فى الدفاع وقد كوفئ على ذلك فيما بعد عندما عينه السادات فى منصب اخترعه بنفسه وهو منصب المدعى الاشتراكى، أما كبير القضاة الذى حكم ببراءة السادات فقد حصل على أعلى وسام مصرى وهو وشاح النيل، وحسين توفيق الذى حكم عليه بالسجن ١٥ عاما - لبس ١٠ أعوام كما ذكر السادات - رتب القصر عملية لهروبه من السجن وتولى تهريبه إلى سوريا وسط حملة إعلامية قادتها صحافة القصر راحت تصوره على أنه بطل شعبى».

وبعد مرور حوالى ٣٣ سنة على قضية أمين عثمان جاء عبد الحليم رمضان محامى خالد الاسلامبولى ليقول فى مرافعاته أن «هناك أوجه تشابه بين السادات وبيجين فكلاهما إرهابى وقد بدأ السادات حياته بالتجسس لحساب النازى ثم جند نفسه فى خدمة الحرس الحديدى للملك فاروق كقاتل محترف مأجور يتقاضى عن رأس القتيل من أعداء الملك مبلغ ألف جنيه مصرى بشهادة حسين توفيق عليه فى قضية الاغتيالات الكبرى»... وقد اعترف بسلوكياته الإرهابية فى كتابه «البحث عن الذات» حتى فى تعامله مع الأستاذ محمد كامل القاويش وكيل النيابة ومأمور سجن مصر عندما كان يدعى عليهما بالباطل تعذيبه وإكراهه وقد كانت هذه السلوكيات الإرهابية هى الحاكمة فى نظام حكمه الذى قام على الإرهاب الفكرى والمادى لمعارضيه».

هل كان السادات يعلم ما تخبئه له الأقدار وأن نشاطه السياسى الغامض سيتحول إلى سبب لإدانته بعد قتله؟ لو كان يعلم لما كان تراجع.. إنه السادات!